مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 15 العدد02 15ماي 2019م ص11-37

ISSN/2353-0197

محمد ناصر مفكِّرًا ومصلحًا، فكره الديني والسياسي والاجتماعي

Mohammed Nasser, a thinker and reformer, His religious, political and social thought

د. ناصر يوسف[1]

Dr. Nasser Youcef

د. سوهرين محمد صالحين

Dr. Souhrin Muhammad Salhin

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

International Islamic University Malaysia

youcef.nasser@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/02/20م تاريخ القبول: 2019/02/22م

ملخص:

يعالج هذا البحث التطورات الفكرية والدينية في مسيرة المفكِّر والمصلح الإندونيسي محمد ناصر؛ حيث يتطرَّق إلى فكره الديني والسياسي الذي وقف على مبدأ ظل ثابتًا عليه حتى مماته، وهو أن الإسلام دين ودولة، وذلك من غير أن ينفي طبيعة الحكم الديمقراطي إنْ هو جلب التنمية والعدالة للناس. كما يبرز هذا البحث وقوف محمد ناصر على أهمية القيم الدولية والأفكار القومية في نجاح العملية الديمقراطية إذا كانت تستجيب للمطالب البيئية للأغلبية المسلمة في إندونيسيا، وتعزِّز من فرص التسامح الديني بين الأعراق والديانات. ومن زاوية أخرى يتناول هذا البحث، أيضًا، الفكر الديني والاجتماعي لدى محمد ناصر الذي له تصوراته الإسلامية المبدعة لمفهوم العبادة وأصول القيادة؛ ما يجعل الاستفادة من أفكار محمد ناصر الدينية والسياسية والاجتماعية ضرورة من أي وقت مضى للخروج من الأزمات التي تطال الأحزاب الإسلامية وتنسف مشروعاتها الإنمائية التي باتت تصطدم بفهم المسلمين الخاطئ للديمقراطية في أبعادها الإنسانية والإنمائية.

[1] المؤلف المرسل: د. ناصر يوسف youcef.nasser@gmail.com

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 15 العدد02 15ماي 2019م ص11-37

ISSN/2353-0197

الكلمات المفتاحية: محمد ناصر؛ فكره الديني؛ فكره السياسي؛ فكره الاجتماعي؛ إندونيسيا.

Abstract:

The paper attempts to highlight developmental religious thought of Mohammad Natsir as thinker and reformer of Indonesia. It mainly deals with his thought related to religion and political orientation under the theme 'Islam as religion and state' which he subscribed to it throughout his life. Mohammad Natsir did not negate the use of democratic system whenever it brings about the progress and justice. Moreover, the paper also discusses the stand of Mohammad Natsir in endorsing what so-called universal values and the concept of nationalism to galvanize the implementation of democracy to serve Muslim majority in Indonesia. In addition, it also sheds more light on his vision with regard to the concept of tolerance across ethnical background and religious adherents. The other aspect it focuses on revealing distinctive thought of Mohammad Natsir related to religious and sociological thought, spirituality and leadership. How far his vision on religious, political and sociological thought are relevant to be applied today in offering solution from political crisis experienced by Muslim parties which is simply due to the shortcoming of program which, at the end, brings about negative impression to Muslims on democracy, humanity and development.

Keywords: Muhammad Natsir, religious thought, political thought, sociological thought, Indonesia.

مقدمة

كما هو معلوم، ولد المفكِّر الإسلامي الإندونيسي محمد ناصر (Mohammad Natsir) في سومطرا الغربية في 17 يوليو 1908م؛ حيث شغل وزيرًا للإعلام الإندونيسي في الفترة (1946-1948م)، ثم رئيس وزراء إندونيسيا (1950-1951م). حصل على جائزة الملك فيصل في مجال خدمة الإسلام في العام 1980م، وعن خمس وثمانين سنة أسلم الروح لبارئها.

تبلور الفكر الديني لدى محمد ناصر المفكِّر والوزير الإندونيسي المشهور بعد أن خاض في النقاش ردًّا على الأفكار الخاطئة تجاه الإسلام التي أثارها سوكارنو رئيس إندونسيا الأسبق؛ حيث رأى

ISSN/2353-0197

سوكارنو أن التخلف الحضاري في العالم الإسلامي سببه الاهتمام بالشريعة الإسلامية والحرص على تطبيقها في المجتمع. وعلى حد زعم سوكارنو فإن الشريعة الإسلامية التي ابتدأت في مجتمع بدوي هي غير صالحة للتطبيق في عصر العلم والتكنولوجيا، وفي اعتقاده أن التقدم المادي والعلمي لا يمكن تحقيقه إلا بعملية الفصل بين الشريعة والدولة، وأن الدين أمر شخصي. لقد كان سوكارنو معجبًا بما حققته الدول الغربية من تطور وتقدم؛ ما جعله يقترح تبني الفكر العلماني في إعادة بناء الوطن اقتداءً بسلفه كمال آتاتورك.

لقد جزم محمد ناصر في ردوده على سوكانو بأن الإسلام دين ودولة. وعلى الرغم من أن سوكارنو كان أول شخص مهم في الدولة يقوم بالهجوم على الإسلام، فقد كان هجومه سببًا في إيقاظ وعي زعماء المسلمين الذين ردُّوا عليه بأن الرسالة التي جاء بها محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ليست مقصورة على العبادة فقط، بل هي أوسع من ذلك كونها تشتمل على الأنظمة والقوانين الدستورية، كما تجلى ذلك في صحيفة المدينة التي قام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بصياغتها.

إن شطحات سوكارنو وتساؤلاته كانت أيضًا سببًا في التجديد الفكري لدى محمد ناصر، وحصول اختلافات فكرية وتضارب إيديولوجي أنضج الفكر الإسلامي في إندونيسيا؛ حيث تدل الوقائع على أن النضوج الفكري الإسلامي لدى محمد ناصر ظهر بعدما خاض في النقاشات وردَّ على التيارات العلمانية المتطرِّفة. وقد بيَّن محمد ناصر الرسالة الدينية وعلاقتها بشؤون الدولة، بأن الأمر الذي أدى إلى الفهم الخاطئ لدى كثير من الناس ممن يتحدثون عن الأمور الدينية وعلاقتها بنظام الحكم، هو حصرهم للإسلام في أمور العبادة مثل الصلوات الخمس والصيام وما أشبه ذلك؛ لكن الدين لديه ما يقوم به من تنظيم نشاط البشر بما فيه نظام الحكم وإدارة الدولة.

أولاً: فكره الديني والسياسي

1– الإسلام بوصفه دينًا ودولة

يرى محمد ناصر أن مبادئ الحكم مرتبطة بإدارة الدولة غير مفصلة في نصوصها، كما يرى أن الحكم الشرعي يضم دائرتين أساسيتين لا ينفك بعضهما عن بعض؛ **الأولى** تتعلق بالحقوق والواجبات بين العبد وربه وهو ما يعرف بمعاملة المخلوق مع خالقه، و**الثانية** تخص الأشياء التي تنظم علاقة الناس بغيرهم

ISSN/2353-0197

(أي حبل من الناس). ومن ثم فإن هناك تداخلاً بين تعامل الناس مع غيرهم بما فيه تعاملهم مع الحكام (Natsir 2004, 4). ولعل ما يميز فكر محمد ناصر من غيره من أقرانه أن معظم العلماء الذين يتحدثون عن (حبل من الناس) لا يمسون جانب العمل الجماعي في إدارة الدولة.

وعلى الرغم من أن محمد ناصر يؤكد على أهمية الشريعة في إدارة الدولة، غير أنه يقول إننا لا نجد في القرآن الكريم ما يدعو إلى تنظيم الأمور تنظيمًا دينيًا لاسيما فيما يتعلق بالعملة والنظم المالية، وإن هذه الأمور متروكة في نظره إلى إدارة الناس لها بالطريقة التي تناسبهم. وفي الواقع أن ما خفى عن محمد ناصر قد ذكره القرآن الكريم بشكل من الأشكال، حيث إن هناك إشارة في القرآن الكريم إلى العملة والدينار في أيام الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم إلى جانب تحريم الربا. لم يكن محمد ناصر متابعًا لمستجدات التقدم العلمي والتكنولوجي ومهتمًا به كما كان يهتم بالعلاقة بين الإسلام والدولة. ولمزيد من الوضوح ننقل رأيه حيث يقول: "لا يمكن أن نجد في القرآن الكريم ما يتعلق بنظام المرور في الشوارع وكذلك طريقة التعامل مع جهاز التلفاز، وإن كل ما يتعلق بالأمور الدنيوية يتغير من وقت لآخر تناسبًا مع البيئة التي ليست بحاجة إلى توجيهات ربانية. والشيء الذي لا بد من مراعاته هو ما يتعلق بالتصرفات البشرية التي لا تتغير من زمن إلى زمن آخر سواء أكان في المجتمع البدوي أم في عصر التقدم العلمي كما نجده اليوم" (*Aliran Islam* 1950, 13).

قد تكون مثل هذه الأفكار غير منسجمة مع العلماء المهتمين بالنتائج العلمية ومدى تناسبها مع التعاليم الربانية. لقد كان العلماء في مجال علم الفلك والرياضيات يقومون بالتعديلات المناسبة كلما وجدوا معالمها واضحة في النصوص القرآنية مثل ما قام به الخوارزمي وابن سينا في علم الجبر والقانون في الطب. وكذلك البيروني الذي جاء بنظرية فلكية لمعرفة اتجاه القبلة وبداية كل شهر، وكذلك في مجال الهندسة؛ فالعلماء المسلمون طالبوا بتصميم البناء المعماري الإسلامي المعتمد على التعاليم الربانية.كما نلفي محمد ناصر يخالف رأيه الذي حاجج به أمام البرلمان، وهذا نص المحادثة إذ يقول: "في مجال العلوم يا سيادة الرئيس نجد العلمانية قد جعلت جميع العلوم منفصلة عن الحياة والقيم الحضارية، وفي مجال الاقتصاد لا ترى وجود علاقة له بالقيم الأخلاقية، وكذلك جميع العلوم الاجتماعية تراها منفصلة عن القيم والأخلاق والحضارة والمعتقدات، وكذلك الأمر المتعلق بجانب علم النفس والفلسفة والقوانين. إن التقدم

ISSN/2353-0197

التكنولوجي قد أنتج القنبلة ولكن صُنَّاعها يحاسبون عند الله بسبب استخدامها لإراقة دماء الناس. ومن هذا الجانب نرى أن ظهور الفكر العلماني في إندونيسيا قام على الفصل بين العلم والأخلاق". (*Aliran Islam* 1950, 64). وتلك النزعة الفكرية عند محمد ناصر دالة على اهتمامه البالغ بالدمج بين القيم الأخلاقية وبين جميع الفروع العلمية الأخرى.

2- نظام الحكم الإسلامي

لقد بيَّن محمد ناصر مبادئ نظام الحكم الإسلامي التي لابد من مراعاتها فيما يأتي:

2-1 القيم الدولية

يرى محمد ناصر أن الدولة الإسلامية لا يمكن تأسيسها إلا على مبدأ التوحيد والقيم؛ حيث إن فهم التوحيد لا يقتصر على معرفة الصفات الربوبية والوقوف على الطاعات والعبادات. وإن الخير في حقيقته جزء من الفضائل التي وهبها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه صلاة الله وسلامه عليهم جميعًا.

في نظام الحكم الإسلامي، كما يقول محمد ناصر، إن جميع القيم أو الفضائل القائمة في المجتمع مثل التعاون البشري ومساعدة الآخرين، لا يمكن إهدارها بل يجب الحفاظ عليها. وبالعكس فإن جميع المنكرات التي تؤدي إلى انهيار الأخلاق تعتبر مثل الجرائم التي لا بد من إزالتها على وجه الأرض. وحاجج محمد ناصر بأن الأشياء التي لم تذكر في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يمكن تنظيمها على حسب المتغيرات الحاصلة حتى لا تأتي متعارضة مع الرسالة. ولهذا وجدنا أن فكر محمد ناصر عن الدولة الإسلامية أكثر مرونة، ولم يكن يعنيه شكل هذه الدولة ما دامت تطبِّق مبادئ العدل والمساواة. وننقل رأيه في هذا الصدد؛ حيث يقول: "إذا كان النظام المستهدف أو المنشود قائمًا في المجتمع بشكل عادل فمن واجب كل مسلم اتباعه بغض النظر عن مصدره؛ لأن التقدم الحضاري نجد فيه الناس شركاء. وعلينا أن نأخذ الخير من البلدان الأخرى سواء أكانت بريطانيا أم أمريكا أم فرنسا أم سويسرا ما دام نظامها العادل لا يتعارض مع تعاليم ديننا؛ وحتى الدول غير الإسلامية استلهمت نظام البلدان الأخرى التي تميزت بالتقدم الحضاري" (*Panji Masyarakat,* 1950) .

وبناءً على هذا يرى يوسريل إحزا مهندرا (Yusril Ihza Mahendera) أن فهم التوحيد عند محمد ناصر يتوجه نحو تقوية أواصر الوعي وارتفاع الجانب الروحي والوحدة الإنسانية على أساس

ISSN/2353-0197

المساواة والعدالة والتسامح بين الناس (Ihza 1995, 130–131). وإن التصور التوحيدي عند محمد ناصر استهدف تقوية علاقة الناس مع ربهم من طريق الممارسة الروحية وتحصيل الحسنات من خلال تعاملهم مع الآخرين؛ حيث كانت معارضته لحكومة سوكارنو ثم حكومة سوهارتو، تستهدف تحقيق الجانب التوحيدي الذي لا يستتب أمره إلا بإزالة الظلم والاستبداد من طريق النشاطات السياسية. كما يرى الخبير بشؤون السياسة والمجتمع الإندونيسي جورج ماك تورنان كاهن (George McTurnan Kahin) (1918–2000م) أن تصور محمد ناصر عن الفكر التوحيدي يؤكد على مسؤولية الشخص ومدى وعيه تجاه مجتمعه، إضافة إلى رؤيته التي لا يمكن فصلها عن حرية الديانة والتسامح والعدالة. وقد أُعجب كاهن بشكل ملحوظ بآراء محمد ناصر الدينية والاجتماعية؛ إذ يقول: "هناك قلة ممن تحترم الفكر المعاصر كما حصل لدى المسلم المجدد محمد ناصر. ونحن على يقين بأن نشر آرائه ستكون لها إسهامات كبرى في الغرب في تنمية الفهم الصحيح المتعلق بالفكر الإسلامي في إندونيسيا بخاصة والعالم الإسلامي بعامة" (Puar 1978, 331–332) .

2–2 مفهوم القومية

لقد أكَّد محمد ناصر بأن الهدف الأسمى من خلق الله سبحانه وتعالى لمختلف القبائل والأقوام كان من أجل التعاون بينهم، ومن ثم هو فائدة لهم. وإن حب الوطن طبيعة في البشر لتحقيق التقدم؛ إذ لا يمكن أن يتم إلا من طريق التعاون فيما بينهم. ومثل هذه النزعة الفكرية تعد من مميزات فكر محمد ناصر في التعامل مع النصوص القرآنية التي لا يتطرَّق إليها العلماء المسلمون بشكل صريح. كما حذَّر محمد ناصر من أن حب الشخص لوطنه لا ينبغي أن يتجاوز به الحد إلى أن يكون سببًا في التعصب؛ فالتفاضل عند الله سبحانه وتعالى يكون بالتقوى.

مثل هذه الأفكار أثارها أثناء النقاش في قاعة البرلمان ردًّا على الزعماء القوميين مبيّنًا ميزة الرسالة الربانية في هذا الشأن. وكان قبل ذلك قد خاض في النقاش حول الإسلام والقومية؛ ما يدل على أنه منذ البداية كان يرغب في أن يكون الحكم الشرعي مصدرًا للتشريع. وكان ممن سبقه أمثال عمر سعيد شوكرو أمينوتو(Omar Said Cokroaminoto)) والحاج أغوس سالم (Agus Salim) ، قد خاضا في الصراع الإيديولوجي مع الزعماء القوميين؛ حيث إن أمينوتو قد بيَّن أمامهم مفهوم القومية من منظور

ISSN/2353-0197

إسلامي؛ حيث قال: "ما كان الإسلام ليتصدى للقومية ويعاديها. وإن مفهوم القومية كما يراها الإسلام لن تكون خطرًا على الآخرين، بل نراها تؤدي إلى رفاهية المجتمع وتوحد الإنسانية تحت رعاية ربانية من طريق أحكامه التي نزلت على رسوله الكريم محمد المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم" (Noer, 1973, 247-248).

أثار سوكارنو عام 1925م أفكاره القومية بحجة الحفاظ على الوحدة الوطنية. وعلى حد زعمه أن من دلالات حب الوطن، هو أن يتخلى الشخص عن الربط بين الدين والدولة؛ حيث قام الحاج أغوس سالم بالرد على مثل هذه الأفكار، قائلاً: من يقول إن حب الوطن فوق كل شيء، يعد مخالفًا لتعاليم الإسلام؛ ما قد يؤدي إلى الشرك. وقد وصل الصراع بين الإسلاميين والقوميين إلى أعلى درجة من الخصومة بعد أن قام أحد الزعماء القوميين بنشر مقالة في صحيفة *سوارا أوموم* (*Swara Umum*) يقول فيها بعدم جدوى أداء فريضة الحج في مكة المكرمة؛ إذ يقول: "نحن لا ننكر أن الشخص حريص على السفر إلى مكة المكرمة لأداء الفرائض الدينية؛ ولكن لابد عليه من الوعي أن سفره إلى تلك البقعة تكون خسارة لنا، حيث إن المستفيد هم أهالي مكة"(Noer, 1973, 258)). لقد أشعلت قولته هذه الغضب لدى المسلمين. وكان محمد ناصر وأستاذه الشيخ أحمد حسن قد هاجما بشدة مثل هذه الأفكار؛ حيث أصدر الشيخ حسن فتوى بتحريم تداول الفكر القومي الذي يروّج للادينية في المجتمع المسلم.

لقد ردَّ محمد ناصر على صاحب المقالة مبيّنًا الدوافع التاريخية وراء نشوء فكرة القومية في البلد، وكان رأيه متماشيًا مع آراء الحاج أمينوتو والحاج أغوس سالم في أن الرسالة الإسلامية لها فعاليتها في توحيد العناصر العرقية والإقليمية، علاوة على أن الهيئات الإسلامية هي التي مهَّدت الطريق لغرس جذور الوحدة القومية وإنماء روح التعاون فيما بينهم. لقد استجاب الناس لتلك النداءات التي تطالب بجعل الإيمان بالله فوق العناصر القومية والجنسية. وتوضيحًا لرأي محمد ناصر ننقل قوله: "علينا أن نفهم أن أول حزب قومي هو حزب شريكة إسلام، وكان النداء من ذلك الحزب استجابة للأمة الإسلامية. لقد ظهرت منذ البداية فكرة القومية التي تتجاوز عناصر العرقية والإقليمية، فكانت العقيدة الدافع الرئيس للحفاظ على الوحدة الوطنية" (Harjono 1997, 22) . ويتجلى من كلامه أن الفكر القومي من المنظور الديني يعد

ISSN/2353-0197

مخالفًا لما رآه الزعماء القوميين في أن الكفاح مقتصر على تحرير الدولة من الهيمنة الاستعمارية؛ بينما دعاة الإسلام يرون أن المعركة بين الحق والباطل قائمة مدى الحياة حتى يتحقق النصر ويحكم الشرع.

2-3 الإسلام والقومية

لقد طبَّق الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه الكرام الشورى في حياتهم؛ فهي بالنسبة إليهم حجر الزاوية في الحفاظ على التعايش السلمي؛ بينما نلفي في العالم العربي والإسلامي القوة هي اليد الطولى في إدارة الدولة؛ حيث يؤمن محمد ناصر بأن حب الناس لأوطانهم فطرة مركوزة فيهم يستحيل إزالتها؛ فالتعايش بين الشعوب والقبائل مرغوب فيه ومستحسَن على الرغم من الاختلافات في اللون واللسان والدين واللغة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13). وعلى حد رأيه؛ فإن لفظ "التعارف" ليس مقصورًا على معرفة خصائص الناس ومواصفاتهم؛وإنما أراد الله سبحانه وتعالى من ذلك حصول التفاهم والتواصل والتعاون بغض النظر عن تباين الديانات والمعتقدات. لقد قضت حكمة الله من وراء هذه الاختلافات أن تعيش القبائل من غير خلافات قد تفضي إلى الاقتتال، بل أن تكون إلى الاحترام أقرب؛ ولكن الإنسان إذا سلك مسلك الشيطان حصلت الحروب التي لا تبقي على الاحترام والتراحم بين الناس.

إضافة إلى ذلك، يرى محمد ناصر أن تنوُّع الجنسيات والأقوام ما هو إلا لإتاحة الفرصة للتنافس من أجل تحصيل التنمية والتقدم لمصلحتهم في هذه الحياة الدنيا. غير أن حب الوطن لا ينبغي أن يتجاوز حد التعصُّب بأن يدَّعي قوم بأنهم أفضل من غيرهم؛ فالأفضلية عند الله تكون بالتقوى. وإن حصلت الأفضلية بين البشر أنفسهم، ومن غير استعلاء طبعًا، فيكون ذلك بالخير والعلم والتنمية من أجل الاقتداء بالناجحين والتعلم منهم ثم تجاوزهم. وأكثر من هذا فإن الهدف من حب الشخص لوطنه فيه تحقيق لمعنى العبادة لله سبحانه وتعالى؛ فخاتمة الآية أعلاه تنفي التعصُّب العرقي والديني؛ حيث إن الناس مطالبون بربط أعمالهم بالتعاليم الربانية والاهتداء بها وإقامة العدل فيما بينهم (Natsir 2001, 32-33) مشيرًا إلى حديث الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على

ISSN/2353-0197

عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" (رواه الإمام أحمد بن حنبل في باقي مسند الأنصار، رقم 22391).

2-4 التسامح الديني

هناك أمر مهم يتعلق بالتسامح بين الديانات وموقف الإسلام منها، وأن النظام الرباني يطالب كل مسلم بالتسامح في التعامل مع أتباع الديانة الأخرى في المجتمع. ومن ثم يرى محمد ناصر أن التدين هو حق لكل فرد، ولا يجوز لأي شخص أن يفرَض عليه دين معيَّن، بل إن هناك حرية تامة في اختيار الشخص لدينه. في الوقت نفسه يرى محمد ناصر أن لكل واحد الحق في الدفاع عن دينه؛ حيث إن الإسلام منح الحرية لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لممارسة دينهم من غير حرج. وقد حذَّر محمد ناصر من أن قضية التدين مسألة بالغة الحساسية إذ أمر الله سبحانه وتعالى بالحفاظ على التعايش السلمي في المجتمع؛ فجاءت هذه التوجيهات الربانية حيث يقول جل جلاله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ واسْتَقِمْ كَمَا أُمِرتَ ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وأُمِرتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُم اللَّهُ رَبُّنَا ورَبُّكم لَنَا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وإِلَيهِ المِصِيرُ﴾ (الشورى: 15).

إن مثل هذه الأوامر يمكن اعتبارها جزءًا مهمًّا جدًا في مسألة التعامل لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. كما طالب محمد ناصر بمسؤولية كل فرد تجاه هذه المبادئ الأخلاقية؛ حيث حاجج بأن فلسفة الدولة بنتشاسيلا (صالحين ويوسف 2013، 194) يفترَض منها إحياء الوعي الديني من أجل استقرار الوطن، غير أن مثل تلك التوجيهات لا يمكن تحقيقها إلا بوجود دولة تشجِّع أفرادها على طاعة الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا أكَّد محمد ناصر أمام البرلمان على أن الحكم الشرعي هو أفضل خيار لدستور أفضل.

لقد بيَّن محمد ناصر الملامح الأساسية للتعاليم الربانية ومدى صلاحيتها لتنظيم الدولة، وكان الصراع بينه وبين منافسيه قائمًا على مدى الخيار بين الفكر الإسلامي والعلماني. وإن محمد ناصر بصفته رئيسًا لحزب ماشومي حاول إقناع الآخرين بنقاط ضعف فلسفة الدولة "بنتشاسيلا"؛ حيث تميَّز محمد ناصر بقوة إقناع الآخرين واستخدام العبارات المناسبة لاستمالتهم؛ ما جعل الناس يرون أنه رجل علم

ISSN/2353-0197

وفلسفة. وكان محمد ناصر في ذلك الوقت يهاجم بنتشاسيلا ومدى خطورتها على الجيل القادم؛ إذ إنها تتوجه به نحو تيار علماني.

لقد كان إصرار محمد ناصر على كتابة الدستور وفق التعاليم الإسلامية سببًا في سطوع اسمه في سماء العالم الإسلامي.

3- الدين والدولة

اقترح محمد ناصر ربط الدين بالدولة، وهو يعي أن الحكم الشرعي لا يمكن تطبيقه إلا بوجود سلطة إسلامية. وأكَّد على خطورة مسألة عدم تقديس القرآن الكريم بحيث بات يوضع داخل دولاب مذهَّب فقط في غياب تطبيق حكمه من قِبل السلطة الحاكمة. ومن هنا نرى أن محمد ناصر لم يكن يرغب في ذكر كلمة "إقامة الدولة الإسلامية" في الوقت الذي كان مهتمًّا بدمج تعاليم الإسلام بأنظمة الحكم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على حكمته السياسية؛ حتى لا يكون هناك اعتراض أو رفض من قبل الزعماء القوميين المتأثرين بالثقافة الغربية.

لقد تأكد محمد ناصر من سوء الفهم لدى كثير من الناس فيما يتعلق بالدولة الإسلامية؛ حيث يعتقد الناس أن من يدير الخلافة ستكون حاشيته من النساء الجميلات الراقصات، بينما هو جالس على عرشه يشاهد رقصهن ويتمتَّع بجمالهن. كما أن هناك من يتصوَّر أن الدولة الإسلامية يديرها شيخ هرم ومعمَّم ومدمن على المشروبات الكحولية (*Aliran Islam* 1951, 15) . إنه من أجل تحقيق الإسلام وتطبيق أحكامه، فلن يتولى الحكم من ليس له أهلية في الإدارة والقيادة. ومن ثم لا تعطى السلطة لمن يؤمن بالخرافات ويرتكب المحرمات التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها. وإنْ زعم محمد ناصر أن السلطة الحكومية في واقعها امتداد لسلطة الله تعالى، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن القيادة تشترط معايير أخلاقية كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: 55).

وبناءً على تلك الأفكار التي ساقها محمد ناصر، يتبيَّن لنا أنه كان متأثرًا بالتعاليم الربانية كباقي الزعماء الحركيين المهتمين بتأسيس الدولة الإسلامية. وإن موقفه تجاه التحكيم الرباني يتشابه مع ما رآه سيد قطب بأن لا مساومة بين الحق والباطل أو بين الجاهلية والشريعة الإسلامية. واعتبر سيد قطب أن

ISSN/2353-0197

أهل الكتاب من اليهود أو النصارى قد كفروا لمجرد أنهم يفصِّلون في الحلال والحرام وفقًا لأهوائهم. وعلى الرغم من هذا التشابه في الموقف الديني بينه وبين سيد قطب؛ إلا أن محمد ناصر لم تكن له جرأة بالغة على تكفير الآخرين مثلما وجدناه في كتابات سيد قطب، فهو يكرِّر قوله حول أهمية منح السلطة للملتزمين دينيًا بالإضافة إلى الكفاية العلمية والقيادية التي اعتبرها من ضمن الأسس المهمة لإقامة الدولة الإسلامية.

والشيء الآخر الذي وجدناه في أفكار محمد ناصر أنه لم يكن يبالي بتسمية الدولة باسم "الدولة الإسلامية" ما دام أن هناك ضمانًا لإقامة العدل والمساواة بين الحاكم والمحكوم. وليتضح لنا رأيه ننقل كلامه: "أي لقب يمكن إطلاقه على رئيس الدولة، سواء أكان أميرًا أم خليفة أم أمير المؤمنين؛ لا يهمنا ذلك في شيء ما دامت تلك المواصفات أو الواجبات والحقوق تتوافر وفق الشروط الإسلامية" (*Aliran Islam* 1950, 13) . حيث إن العلاقة الجيدة بين الدين والدولة أمر مهم لبناء المجتمع، مبررًا ذلك بأن الدولة لا يمكن لها تحقيق التقدم بدون تفعيل هذه العلاقة؛ إذ قبل كل شيء لابد **أولاً**: من أداء الحقوق والواجبات من قبل الشعب ورجالات الدولة؛ **ثانيًا**: يفترَض الوقوف على القوانين واللوائح التي تنظم العلاقة بين الأفراد، وكذلك القوانين التي تنظم العلاقات الدولية؛ **ثالثًا**: إن الكل بحاجة إلى تصوُّر صحيح عن الإخلاص والطاعة من طريق ممارسة النشاطات الروحية التي تمثل جزءًا رئيسًا ينظِّم علاقة الشخص بربه؛ **رابعًا**: لابد من التدريب على ممارسة الأخلاق والغيرة الجهادية لتحقيق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة (*Aliran Islam* 1951, 16) .

وفي رأي محمد ناصر إن الجانب الروحي يمثل الجزء الأهم الذي يحدِّد تنمية الدولة ورفاهيتها. وقد جاء بمثال عن العلاقة بين الدين والدولة حول طلب العلم الذي يفرضه الإسلام. وعلى الرغم من صلاحية النظام، فإنه لا يمكن أن تكون له فعالية بدون تدخل السلطة. وكذلك حول فرضية الزكاة فإنه لا يمكن إيفاؤها من قبل المجتمع بدون تدخل السلطة ووجود نظام لتنفيذها. والأمر الآخر يتعلق بتحريم شرب الخمر، فإنه لا يمكن ابتعاد الناس عنها ما دامت الحكومة تمنح الإذن بصناعتها (*Aliran Islam* 1951, 17) .

ISSN/2353-0197

لقد أكَّد محمد ناصر على أن الربط بين الدين والدولة لا يكون فقط في الاستشهاد بآيات قرآنية وإنما لابد من ربط الأحكام بالدستور؛ لأن النشاطات الدينية ليست مقصورة على الشعائر التعبدية وحسب، لا سيما أن الوقائع في العالم الإسلامي دالة على أن القوانين مقتصرة على الأحوال الشخصية فقط؛ بينما الجرائم والاقتصاد والتعامل التجاري كأنها ليست من الدين. وعليه فقد رأى أن الدولة ما هي إلا وسيلة لتطبيق الدين وتفعيل مبادئه في المجتمع المسلم؛ حيث إن الدولة تشكَّلت قبل وصول الإسلام وفق خصائص مختلفة(*Aliran Islam* 1951, 17).

يحاجج محمد ناصر بأن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم وضع الأصول لإدارة الدولة وإقامة العدل فيها، وإن الدين الذي نزل على رسوله الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم يفترَض علينا تعميم صبغته الإسلامية في كل المجالات والنشاطات الاجتماعية. ويمكن الإشارة إلى أن هذا الأمر شبيه بما قام به الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم بتغيير المجتمع العربي من الجاهلية إلى المجتمع الإسلامي. وإذْ نتحدث عن الدين كمنهج للحياة يقول محمد ناصر: نحتاج إلى الأنظمة الحكيمة لتطبيقه، وإن الشخص الذي يؤمن بشمولية الرسالة الإسلامية هو الذي يستحق منصب الرئاسة.

وفي الواقع كثير من يقول بأهمية أسلمة الحياة من كل جوانبها؛ بينما محمد ناصر لم يقف على أهمية إقامة الدولة الإسلامية، بل إن أفكاره ارتكزت على اتخاذ الشريعة مصدرًا أساسيًا في الدستور. وإن هذه المرونة قد استغلها معارضوه من الغلاة في إندونيسيا فطعنوا في أفكاره؛ لأنهم لم يجدوا عبارة صريحة في لوائح حزب ماشومي تدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية.

من وجهة أخرى قام محمد ناصر بالهجوم على الحكام المسلمين الذين أدخلوا بعض النصوص الدينية ضمن سياساتهم من غير تفعيل لها؛ إذ يقول: "حين لا يهتم الحكام بمصلحة الشعب ولا يفكرون في التقدم والتنمية وتقليص الفقر، فهم في الواقع يسهمون في توسيع دائرة المنكر مثل ما قام به بعض السلاطين الأتراك الذين لم يكونوا يمثلون الدولة الإسلامية" (*Aliran Islam* 1951, 17).

وبالنسبة إلى فلسفة الدولة بنتشاسيلا فرأى، محمد ناصر، أنها مقبولة ما دام أن البند الأول فيها ينص على الإيمان بالله الواحد، ومع أنها غير مطبَّقة فإنه لا يمكن تفسيرها إلا من منظور التوحيد. لقد حاجج محمد ناصر بأن قبول المسلمين لفلسفة الدولة بنتشاسيلا بشكل عام لا يتعارض مع المبادئ

ISSN/2353-0197

الإسلامية إذا كانت هذه الفلسفة لا تتناقض مع التعاليم الربانية التي أوحى الله بها إلى رسوله الكريم محمد صلَّى الله عليه وسلَّم. ولمزيد من التوضيح ننقل قوله:" وفي نظر المسلمين فإن مبادئ فلسفة الدولة أو بنتشاسيلا بشكل عام لا تتصادم مع تعاليم الإسلام" (*Aliran Islam* 1951, 17).

واعتمادًا على تلك الحجج التي قدَّمها محمد ناصر؛ فإن فلسفة الدولة تتوافق مع بعض تعاليم الإسلام على الرغم من أننا في الواقع نجد أن تعاليم الإسلام أكثر شمولية وتفصيلاً. وإذا كانت أركان فلسفة الدولة بنتشاسيلا غامضة فيمكن تغييرها من وقت إلى آخر بناءً على سياسة الحاكم. لقد بذل محمد ناصر جهده من خلال تدخلاته أمام أعضاء البرلمان وهو يدافع عن الإسلام ويقدِّمه بوصفه مصدرًا تشريعيًا في الدستور. علاوة على ذلك، كان محمد ناصر حريصًا على ربط الأحكام الشرعية بالقانون في محاضرة ألقاها في رمضان عام 1954م محاولاً من خلالها إقناع الآخرين بميزة حكم الإسلام، وأنه أكثر شمولية مقارنة مع فلسفة الدولة أو ما يسمى بنتشاسيلا.

في الواقع لم يكن محمد ناصر يساوي بين الإسلام وفلسفة الدولة بنتشاسيلا من حيث مضمونها، بل إنه كان يحاول إدخال القيم الإسلامية بعد أن فشل الزعماء المسلمون في فرضية تطبيق الحكم الشرعي بشكل مباشر؛ حيث إن فلسفة الدولة من منظور محمد ناصر تمثِّل الإطار العام لأعمال الخير الذي يتيح الفرصة للحكام لتنفيذها تنفيذًا يخدم الصالح العام، ولهذا السبب قال أمام البرلمان الباكستاني إن إندونيسيا دولة إسلامية: "ممكن أن أقول إن أندونيسيا هي دولة إسلامية نظرًا إلى أن معظم سكانها من المسلمين؛ حيث إن الإسلام معترف به بوصفه دينًا رسميًا من غير القول بالجمع بين الدين والدولة. وفلسفة الدولة تنص صراحة على الإيمان بالله الواحد كجزء أساسي في الدستور التي يمكن القول عنها أنها أحد العناصر الأخلاقية والروحية للدولة"(*Aliran Islam* 1952, 42).

من البديهي إن بعض عناصر فلسفة الدولة لا تتعارض مع الرسالة الإسلامية؛ ولكن كما أشرنا آنفًا إن تنفيذها يكون متوقفًا على سياسية الحكام. وبسبب الغموض الذي يحيط ببنتشاسيلا فلسفة الدولة؛ فإن الإسلام هو الأصلح لأن يكون فلسفة لدولة إندونيسيا. ولهذا يرى الباحث المشهور دليار نور (Deliar Noer) "إن ما أدلى به محمد ناصر أمام البرلمان الباكستاني هو مجرد مجاملة حتى لا يكشف عن عيوب الدولة التي غالبية سكانها من المسلمين، وحاجج بأن محمد ناصر كان حريصًا على أن يجعل

ISSN/2353-0197

الإسلام هو فلسفة الدولة وليس بنتشاسيلا، نظرًا إلى ما يعتري بنتشاسيلا من غموض" (Natsir 2000, xiv).

غير أنه في عام 1959م حصل تحوُّل في رأي محمد ناصر تجاه فلسفة الدولة؛ فقد نادى بتغييرها بنظام الحكم الإسلامي، وقد حصل ذلك أمام البرلمان الذي خاطبه بلهجة صارمة، حيث عرض موقفه الحازم من بنتشاسيلا. وكانت في تلك الفترة قد سنحت له فرصة طيبة لتبادل الأفكار لإعداد فلسفة للدولة جديدة، وكان هجومه على بنتشاسيلا كونها تخدم أغراضًا علمانية ليست في صالح المسلمين ذوي الأغلبية في إندونيسيا.

لا شكَّ في أن هناك مواقف من قبل السياسيين كانت وراء تغيير موقف محمد ناصر من فلسفة الدولة؛ حيث كان أنصاره في حزب ماشومي أمثال الدكتور أنور هاريونو والدكتور دليار نور وعبد القادر جيلاني، قد رأوا أن هناك بعض العناصر في بنتشاسيلا تتبدل لصالح الشيوعية والإلحاد بإيعاز من سوكارنو رئيس الدولة؛ ما أدى بمحمد ناصر إلى التصريح العلني بإضفاء الحكم الشرعي على قوانين الدولة. فقد نقل أمام البرلمان الإندونيسي أن الدين الإسلامي هو الذي يحرِّك النشاطات الحيوية روحيًا وجسديًا لشعب إندونيسيا، وأن مميزات تعاليميها قد أوضحناها مفصلة. ولهذا فإن فلسفة الدولة ومبادئها لابد أن تستقي منابعها من الدين الإسلامي وليس من الفلسفة الغامضة المسماة ببنتشاسيلا. وإن بنتشاسيلا ليست من الدين على الرغم من ذكر الركن الأول عن الإيمان بالإله الواحد؛ لأنها منبثقة من الفكر العلماني.

لقد ناقش محمد ناصر أهمية الحكم الشرعي وهاجم بشدة التيار الفكري العلماني. وقد أكَّد منافسوه من أتباع القومية الغربية أن المبادئ المتضمنة في بنتشاسيلا تشير إلى الشريعة الإسلامية؛ ما يجعل المبادئ المتضمنة في بنتشاسيلا أكثر فعالية. وقد حذَّر محمد ناصر من عواقب الفكر العلماني إذا اتخذت الحكومة من بنتشاسيلا –التي تخالف معتقدات المسلمين– فلسفةً لها.

لقد حاجج محمد ناصر بأن بنتشاسيلا تضم بعض العناصر الإيمانية ولكن في الوقت نفسه يقبل بها الشيوعيون وفي هذا تناقض وغموض واضحين في بنتشاسيلا. فإذا قبل الشيوعيون بنتشاسيلا، فذلك يدل على عدم التزامهم بفلسفة الدولة التي تفترض الطاعة والولاء من المواطنين؛ بينما الإيديولوجية الشيوعية تنفي وجود الإله.

ISSN/2353-0197

في هذه المرحلة بدا فكر محمد ناصر عن فلسفة الدولة يختلف عما أبداه في محاضرته التي ألقاها أمام البرلمان الباكستاني. لقد كان نقد محمد ناصر يركّز على أن فلسفة الدولة بنتشاسيلا بأنها غامضة، وأن الربط بين أصولها الخمسة غير واضح. إضافة إلى ذلك فإن بنتشاسيلا لا تلبي احتياجات المسلمين أصحاب العقيدة الشمولية. ورأى أنه بالنظر إلى أن معظم سكان إندونيسيا من المسلمين، يكون من الأنسب اتخاذ الإسلام وأحكامه مصدرًا رئيسًا للتشريع؛ حيث إن الرسالة الإسلامية صالحة لإدراة مصالح الناس لتحقيق التقدم والسعادة في الدارين. لقد أكد محمد ناصر للجميع أن الإسلام يحث على استخدام العقل لتحقيق التقدم العلمي والحضاري.

4– تطبيق النظام الديمقراطي

يكاد يختلف محمد ناصر عن باقي العلماء المسلمين ممن لديهم حساسية في استخدام بعض المصطلحات التي جاءت من الغرب. وهو يرى أن الدولة الإسلامية لا يمكن إقامتها إلا برضا الشعب من طريق الانتخابات الحرة الشفافة والعادلة. وقد عرَّف الديمقراطية قائلاً: "الفهم الديمقراطي في الإسلام هو إتاحة الفرصة وإعطاء الحق للفرد في التصحيح والتذكير والانتقاد للحاكم الطاغية. وإذا لا يكفي الإنذار أو التذكير والانتقاد، أجاز الإسلام إزالة ظلم الحكومة باستخدام القوة إذا دعت الحاجة إلى ذلك" (Natsir 2000, 7).

يبدي محمد ناصر توافقًا مع نظام الديمقراطية الغربية من حيث أنه يكاد ينسجم مع الأنظمة الاجتماعية ويتيح ظهور تعددية دينية. وحتى في معظم البلدان الخاضعة للاستعمار الغربي؛ فإن نظام الديمقراطية لا يتعارض بكامله مع المبادئ الإسلامية. ورأى محمد ناصر إن بعض المفاهيم في الديمقراطية تتناسب مع مبدأ الشورى كما يفرضه علينا القرآن الكريم. وقد يكون رأي محمد ناصر الإيجابي في الديمقراطية من ضمن مميزات فكره تجاه فهم الشورى، في حين أن معظم العلماء المسلمين يرون بأن الشورى هي مجرَّد طلب الموافقة أو الاستشارة المتعلقة بالحكم الشرعي؛ بينما يرى محمد ناصر أن الشورى هي وسيلة مهمة لنيل موافقة الشعب على تحكيم حياتهم اليومية، وفي الوقت نفسه يمكن القول إن الشورى وسيلة لإزالة ظلم الحكام واستبدادهم.

ISSN/2353-0197

يعترف محمد ناصر بأن هناك جوانب كثيرة من النقص في النظام الديمقراطي، ولأجل هذا فهو لا يساوي بينهما. وقد أشار بأن الإسلام فيه الكثير من الديمقراطية من ناحية أنها تنفي الاستبداد وجميع التصرفات الظالمة التي تمس بوحدة الشعب. كما أنه لا ينكر الديمقراطية كلها ولا يعتبر الإسلام بأنه الديمقراطية؛ فالإسلام في تصوُّره لديه مواصفاته الخاصة، والإسلام ليس بكامله متناسب مع المبادئ الديمقراطية؛ ولكن الإسلام هو الإسلام.

اعتبر محمد ناصر بأن الاجتهاد يمكن تفعيله من داخل نظام معيَّن بحيث لا يوجد في القرآن ولا في السنة النبوية تفاصيل عن كيفية إدارة الدولة، بل إنهما يتصوران الملامح العامة في إقامة العدل بين الناس. إن رئيس الدولة مثلا مطالب بتفعيل الشورى خاصة في الأمور المتعلقة بسياسة الدولة؛ ففي صدر الإسلام مثلاً نجد أن الشورى قد تحققت في الصحراء تحت ظل أشجار النخيل، وفي وقتنا الحالي يمكن تطبيقها في البرلمان. والقرآن ينص فقط من ناحية الحقوق والواجبات للحكام والمحكومين على حد سواء. فالحكام لهم مسؤولية ويستحقون الطاعة من الشعب ما دام أنهم يديرون أمورهم بشكل عادل كما هو منصوص في الأحكام الشرعية (*Aliran (Islam* 1950, 13) .

لقد ظهر من خلال كتاباته أنه بذل جهدًا كبيرًا لجعل الإسلام فلسفةً للدولة، وهذا يدل على أن الديانة والسلطة لا يمكن تجزئتهما بل توحيدهما؛ حيث تدمَج العناصر الروحية بالنشاطات الاجتماعية. وإن مثل هذه السياسة تتوافق مع ما قام به الزعماء الحركيون أمثال: أبو الأعلى المودودي، والإمام الشهيد حسن البنا. وقد تأكد محمد ناصر منذ أول وهلة بأن تطبيق الشريعة الإسلامية على مستوى الدستور سوف يكون عبثًا إن لم يعِ أفراد المجتمع مهامهم تجاه الدولة. ولذلك وجدنا محمد ناصر بصفته رئيسًا للوزراء قد بذل جهده لصياغة سياسة إسلامية. وكان موقفه الإيجابي من الديمقراطية قد ساعده على سلوك مواقف سياسية حكيمة خاصة بعد أن فشل الزعماء المسلمون في محاولتهم لتنفيذ الحكم الإسلامي دستوريًا.

لا شكَّ في أنه يوجد سبب وراء اختيار محمد ناصر لنظام الديمقراطية، وهو إقامة الدولة الإسلامية بوسائل مشروعة؛ ولهذا فإنه ساند النظام الديمقراطي الغربي ما دام يسير في مساره الصحيح. ولعله يكون من المناسب أن نرى فكر محمد ناصر بشكل واضح من خلال التجائه للنظام الديمقراطي

ISSN/2353-0197

الغربي في قول كاهن: "وفيما يتعلق بقضية الدولة الإسلامية، هناك إشكاليات وسوء فهم لدى الغربيين وكذلك لدى الإندونيسيين. ولكن رأي محمد ناصر حول هذه القضية الشائكة كان أكثر وضوحًا؛ إذ إن إقامة الدولة الإسلامية يعد أمرًا مثاليًا قد يكون بعيد المنال أو يستحيل تحقيقه في الوقت الراهن. وفي الوقت نفسه يجب على كل مواطن إندونيسي أن يبذل جهده لإقامة الديمقراطية في البلد، علمًا أن تعاليم الإسلام يمكن تعزيز دورها من داخل النظام الديمقراطي. وعبر القنوات الديمقراطية يمكن إتاحة الفرصة لجعل الدستور يتماشى مع الرسالة الإسلامية" (Puar 1978, 333).

انطلاقًا من تلك الحقائق، يتَّضح أن محمد ناصر كان يرغب في اتخاذ الديمقراطية الغربية وسيلة لتحقيق النظام الإسلامي في إندونيسيا. وكما أشرنا آنفًا، فإن تصوره عن الفكر الديمقراطي كان يهدف إلى التصحيح والنقد والبناء لإزالة الظلم والاستبداد في الدولة. وإذا كانت المحاولة من طريق السلم لا جدوى منها فمن الممكن استخدام القوة لإزالتها. ولهذا فإنه بانضمامه إلى الحركة الثورية التي حدثت في جزيرة سومطرا عام 1957م، قد استهدف من ورائها تصحيح الوجهة الديمقراطية التي انحرفت عن مسارها الحقيقي. وكان سوكارنو في ذلك الحين قد أتاح الفرصة للحزب الشيوعي لنشر نفوذه في الدولة بما يتعارض مع فلسفة الدولة بنتشاسيلا. وإضافة إلى ذلك فإن تعيين السيد جواندا (Djuanda) رئيسًا للوزراء كان يتعارض مع الإجراءات القانونية، علاوة على أن الحكومة المركزية ظلت مهتمة بالتنمية المتمركزة في جزيرة جاواه فقط؛ ما تسبب في ظهور الحركات الانفصالية في بعض الولايات في إندونيسيا ضد سياسة الحكومة ذات الصبغة العسكرية.

ثانيًا: فكره الديني والاجتماعي

1- تصوُّره للعبادة

يعدُّ محمد ناصر مثل غيره من العلماء والمصلحين الذين يهتدون بنور الآيات القرآنية في فهم مقاصد العبادة؛ إلا أنه كان يتشوَّف، أيضًا، إلى ربط فعل العبادة بالعمل الاجتماعي والسياسي. وهو يعتقد أن كلام الله المنزَّل على الرسول محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ليس مقصورًا على العبادة في الحياة بل يتعدَّاه إلى قيادة الحياة أيضًا، ومن ثم لا بد من حصول توازن في العلاقة بين الجانب التعبُّدي والنشاطات

ISSN/2353-0197

الاجتماعية والسياسية تحقيقًا للتقدم في الحياة الدنيوية وتحصيل السعادة في الحياة الأخروية؛ حتى أنه كان يناقش الزعماء القوميين العلمانيين في مسائل دينية ودنيوية بكل ثقة، فقد اقترح حلولاً للمشاكل الاجتماعية والسياسية من منظور إسلامي. ومن منطلق قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، يرى محمد ناصر أن كل شخص بإمكانه أن يكون عبدًا صالحًا لله سبحانه وتعالى في كل جوانب الحياة ليتحقَّق الفلاح، بحيث إن الحياة في هذه الدنيا لا يمكن فصلها عن المعتقدات الدينية.

ومن هذه الناحية يرى، أيضًا، أن الإسلام يمثِّل النظام الإيديولوجي الذي تُستلهَم منه النشاطات الإنسانية. إن تصوُّر محمد ناصر للعبادة بوصفها أسلوب حياة، وإن جميع النشاطات الإنسانية تندرج في معنى العبادة. هناك حبل من الله وحبل من الناس؛ حيث يعني بحبل من الناس هو تعامل كل فرد مع الآخرين وفق ما يمليه الشرع وينظِّمه، وبالطريقة التي سلكها المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم، علاوة على أن الحياة الدنيوية والأخروية مترابطتان ويستحيل الفصل بينهما (Natsir 2000, 3–4).

إن العبادة في تصوُّر محمد ناصر، لا يمكن حصرها في أداء الفرائض؛ إذ لابد من إخراج فهم الناس الضيِّق للعبادة إلى ما هو أوسع وأرحب. وبالإضافة إلى ذلك فإن الدين الإسلامي ينظِّم النشاطات الإنسانية بوسائل شرعية ومشروعة في آن، غير أن تلك الأنشطة لا يمكن تفعيلها في المجتمع والدولة في غياب سلطة عادلة. ومن هنا يرى أن تحقيق العبودية في الأرض بحاجة إلى دولة مؤسسية ترعى مطالب شعبها المتديِّن؛ حيث يعتقد أن العلاقة بين العبودية ونظام الحكم مسألة طبيعية، وهي ذات أهمية لدى كل شخص يعي ويدرك قيمة الالتزام الديني (Natsir, nd, 74). كما آمن محمد ناصر، وبكل صدق، بأن إقامة الدولة الإسلامية يتعذَّر تحقيقها سياسيًا إذا لم تتوافر شروط الوعي الديني لدى السياسيين الإسلاميين.

2– الأسرة المسلمة

أدلى محمد ناصر برأيه في الأسرة المسلمة التي اعتبر صلاحها من صلاح المجتمع، وهي علاوة على ذلك لبنة من لبنات إقامة الدولة الإسلامية الواعية بأفرادها. يقف محمد ناصر في فهمه للأسرة

المسلمة على قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: 21). فرأى أن كلمة (كيف تأخذونه) تعني كيف لديكم أيها الأزواج الجرأة على أخذ ما أعطيتهن من المهر وأنتم قد شاركتهن في الحياة وأخذتم بالميثاق؟ ثم يوضِّح بعد ذلك معنى لفظ "الغليظ"، فيقول أنها ذكرت في القرآن ثلاث مرات في أماكن مختلفة، واحدة لها علاقة بالتعهدات بين الله والرسل والأنبياء؛ ولهذا يرى أن عقد الزواج له أهمية كبرى بين الجانبين (الزوج والزوجة) (Natsir, nd, 75) بحيث لا يمكن تعديله بتلك السهولة. قام محمد ناصر بتفسير الآية مشيرًا إلى آية أخرى بحثًا عن الحقائق، فوجد أن العلاقة بين الزوجين لابد أن تكون قائمة على التكامل والتعاون والتفاهم وتبادل المسؤولية؛ حيث تُلقى على عاتق الزوج مسؤولية كبرى في تدبير شؤون العائلة كما جاء في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228).

لقد أوضح محمد ناصر أن للزوجات الحق على الأزواج، وكذلك للأزواج الحق على زوجاتهن. وكلمة "بالمعروف" هي أقرب إلى العدل؛ بينما كلمة "الرجال" تشير إلى الأزواج الذين لديهم مسؤولية عظيمة تجاه العائلة. أما عن معنى "درجة" كما ذكرت في الآية؛ فيرى أن الأزواج، وعلى الرغم مما ينعمون به من درجة عليا على الزوجات؛ فإن هذا لا يعني معاملتهن بسوء وغلظة، بل على صاحب الدرجة الرفيعة أن يدبّر شؤون العائلة مهتديًا بالتعاليم الربانية. أوضح بعد ذلك أن الآية تتحدث عن مسؤولية الزوج في تدبير الأسرة وأداء واجباته الحقيقية كما هو ظاهر في هذه الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34)؛ بينما "الرجال" فتعني الأزواج وهم المدافعون عن الزوجات بما فضَّلهم الله عليهن.

من وجهة أخرى، نلفي محمد ناصر مثل باقي المفسرين الذي يعزّزون آراءهم بالأحاديث النبوية تبيانًا لما جاء في القرآن الكريم؛ حيث يرى أن المسؤولية تكون مشتركة بين الرجل والمرأة لصالح أسرة صالحة، كما جاء في حديث الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "ألاَ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده ومسئول عنه ألاَ فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته." [أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب:

ISSN/2353-0197

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُول وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: 59)، رقم 7138]. وعلى حد رأيه فإن الرجل يعد رئيس الأسرة وهو محاسب عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك الزوجة رئيسة في أمور الحياة داخل الأسرة وهي محاسبة عند الله سبحانه وتعالى.

يكمل محمد ناصر تفسيره بأن الله سبحانه وتعالى جعل رعاية الأولاد وتربيتهم مسؤولية الزوج والزوجة، ويستدل بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "كل مولود يولَد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" [أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم 1292]. وبعد أن يقوم الوالدان بواجبهما من الناحية التربوية والنفسية أوصى الله سبحانه الأولاد بطاعة الوالدين نظرًا إلى مشقَّة الوالدين في حماية الأولاد، لا سيما مشقَّة الحمل والرضاعة والرعاية والسهر، لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المصِيرُ﴾ (لقمان: 14).

يعتقد محمد ناصر أن حسن معاملة الأولاد للوالدين شرطٌ من شروط التوحيد وتسليم جميع الأعمال لله سبحانه وتعالى كما جاء في الآية الكريمة: ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: 83)، ﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: 36).

3- الإنسان والمجتمع

يدعو محمد ناصر إلى تقفّي أثر الرسالة القرآنية في جميع النشاطات التي يقوم بها الإنسان المسلم في المجتمع لضمان صلاحية الأعمال وصحَّة الأفعال، فهو يتَّخذ من الآيات الكريمة منهجًا صريحًا لتقوية التكافل والتعاون بين الناس، كما يشير إلى أن هناك أفعالاً سيّئة قد تضر بالناس ولا تجعلهم وحدة واحدة، مستندًا في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: 6)؛ فعن هذه الآية الكريمة يقول محمد ناصر إذا جاء الفاسق بنبأ سواء لفرد أم لجماعة؛ فلا بد من أخذ الحيطة من الخبر والتبيُّن منه وكشف نواياه وأسراره قبل اتخاذ القرار النهائي؛ حيث يرى إن القول "أن تصيبوا قومًا بجهالة" هو ألا نتسرَّع في الحكم على فرد أو جماعة حكمًا باطلاً وجاهلاً لمجرد سماع الخبر؛ وما قد يستتبعه ذلك من ندامة لا سيما إذا كان الخبر عقيمًا

ISSN/2353-0197

والألم عميقًا، وعليه أخبر الله سبحانه وتعالى جميع المسلمين بأخذ الحيطة خاصة إذا كانت الأخبار المنقولة تفضي إلى الفتنة والتفرقة بين أفراد الأمة المسلمة (Natsir, nd, 83).

من وجهة أخرى، رأى محمد ناصر، أن هناك بعض المنغِّصات والعدوات قد تؤدِّي إلى الضرر الكبير في حياة الأفراد والجماعات، ومن أجل هذا يدعو الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى التصالح والتناصح فيما بينهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 10).

كما رأى أن القرآن الكريم يزخر بمعاني الاحترام والتفاهم والرضا والمحبة والتسليم بقضاء الله وقدره؛ فلا يعلو أحد على أحد، ولا يسيء المسلم لأخيه المسلم أو يستهزئ به أو يحقره، لأن ذلك من بوادر التفرقة والبغضاء والتجسس التي إن سادت في المجتمع الإسلامي أصابته بأمراض اجتماعية ونفسية، هي أقرب إلى أن يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: 11-12).

4- التكافل الاجتماعي والاقتصادي

حرص محمد ناصر على القول إن كل واحد منا يعلم أن الرسالة التي أوحى الله سبحانه وتعالى بها لرسوله الكريم محمد المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم، قد جاءت لمحاربة الاستغلال والنظام الجائر في المجتمع. وإذ يوجد بعض الناس الطامعين في تراكم الأموال فيما بينهم؛ فلابد من محاربة ذلك لأنها مصدر للفتن فيما بينهم.

يقول محمد ناصر نحن لا ننكر بأن حب المال أيضًا فطرة بشرية؛ حيث إن الإسلام قد نبَّه إلى أن كل واحد منا ينبغي ألا يغفل عن حقوق الآخرين. كما أن التوجيهات الربانية تتوجه نحو دعم الضفعاء

ISSN/2353-0197

والفقراء والدفاع عن حقوقهم عبر محاربة الفساد والاستبداد. وإن مثل هذه الفكرة جاءت منذ أربعة عشر قرن من الزمن؛ حيث إن المؤمنين يتحملون المسؤولية كاملة.

5– أصول القيادة

أولاً لا بد من النظر إلى المنهج المتَّبع عند محمد ناصر في التعامل مع الآيات المتعلقة بنظام الحكم؛ إذ يرى أن هذه الآيات لا يمكن للمسلم تطبيقها وتفعيلها إلا بالاشتراك الفعلي في إدارة الدولة، وبناءً على ذلك فإن الدولة الإسلامية تتشكَّل مهامها وتبرز وظائفها من داخل التعاليم الإدارية والقيادية التي وردت في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: 55)؛ فهو يرى معنى "إنما وليكم الله ورسوله" أن القيادة تُعطى لشخص يؤمن بالله ورسوله حفاظًا على التعاليم الربانية وذلك بتنفيذها تنفيذًا مباشرًا في المجتمع بهدف تحصيل الأمن والعدل والاستقرار، وأنَّ من يستحق منصب قيادة المجتمع لابد أن يكون حريصًا كل الحرص على إقامة الصلاة في وقتها التي هي ركن أساس يبرز صلاحية تصرفاته ومدى إخلاصه؛ فتعينه الصلاة في وقتها على قيادة نفسه حتى يحسن قيادة غيره، كما أنه لابد من نشر الوعي الاجتماعي والديني بأهمية الزكاة التي هي مصدر مهم لتقليص الفقر، كما تكون سببًا في تقوية الأواصر بين الفقراء والأغنياء؛ بينما كلمة "وهم راكعون" فإنه يفسرها مثل بقية العلماء بأنها التسليم الكامل لأوامر الله وتوجيهاته التي فيها الخير الكبير للإنسان المسلم في الدنيا والآخرة.

إن المستخلصات الأساسية من معنى الآية الكريمة أعلاه أن محمد ناصر يهتم بفرضية تشكيل القيادة الإسلامية، وأنها تكون لمن يلتزم بحكم الله بالإضافة إلى اكتسابه المهارات الدنيوية الأخرى. وبناءً عليه يرى محمد ناصر أن القيادة الإسلامية تشترط في القائد الكفاية والعبادة، ويضيف أن التعاليم الربانية تطالب كل مسلم بأخذ الحذر والحيطة في اختيار القائد، بحيث لا ينتخب المسلم أو يختار شخصًا قائدًا غير حريص على دينه؛ فكيف إذًا يكون حريصًا على أمته لا سيما إذا رغبت في تحكيم شرع الله في أمورها وقضاياها؟ ولكي ينجح المسلمون الواعون في إقامة الدولة الإسلامية بشكل مباشر أو غير مباشر، فمن واجبهم، وحسب مكانتهم، تقديم النصح للحاكم إذا ما خالف حكمه شرع الله. ولتعزيز رأيه استدلَّ بهذا الحديث الشريف: "أن رجلا سأل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وقد وضع رجله في الغرز أيُّ الجهاد

ISSN/2353-0197

أفضل قال كلمة حق عند سلطان جائر" (سنن النسائي، رقم الحديث 4138). إذ ظلَّ محمد ناصر يحرص على القول إن الحاكم أو رئيس الدولة يُستنصَح إذا تمادى في ظلمه وغيّه، وإن المفهوم الديمقراطي –الذي هو شكل من أشكال النصيحة– يستهدف إزالة كل سياسة وسلطة وقيادة تقوم على الاستبداد والظلم؛ حيث أجازت الشريعة إزالة الجبروت بالقوة إذا كان النصح لا يفيد(Natsir 2001, 87))، وذلك من منطلق أن الشريعة تعدُّ مصدرًا رئيسًا في إدارة الحكم والدولة في المجتمعات المسلمة.

نقف على تفسيره للآية الكريمة التي يمكن القول أنها تحرص على سلامة إيمان الفرد في مجتمع متعدّد الأديان والأعراق، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: 48). يقول محمد ناصر قد أنزلنا إليك الكتاب يا محمد تصديقًا لما جاء من الحق في الكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين، وكلمة "ومهيمنًا عليه" معناها أن القرآن أمين وشاهد على الكتب السابقة وحاكمًا عليها؛ حيث شاء الله سبحانه وتعالى أن يُحكَم الناس بما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم. وأما كلمة "ولا تتبع أهواءهم" يعني عدم السماح باتباع الباطل، ومجاراة الأهواء التي هي من الشيطان. وكلمة "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا" أن الله وضع لكل قوم المنهج الذي يناسبهم ويتلاءم مع طبيعتهم حسب ما اقتضت مشيئة الله وحكمته. وكلمة "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" يعني أن الله بمقدوره أن يجعل الأمم أمة واحدة، غير أن في التعدُّد ابتلاءً دنيويًا الهدف من ورائه هو حصول التنافس في الخيرات وليس في الشر، وبعد ذلك يردون إلى الله جميعًا ليروا ما حدث من خلاف فيما بينهم، ومن هم على حق ومن هم على باطل.

يريد محمد ناصر القول من وراء هذه الآية الكريمة إن الدين الإسلامي يشكِّل مصدرًا أساسيًا في تنظيم الدولة؛ إذ يفترَض أيضًا تدريب المسلم على الأخذ بتلك المبادئ الأساسية وتفعيلها في حياته العامة والخاصة، إضافة إلى ذلك فإن القوانين واللوائح يفترَض أن تقف على تعاليم الرسالة الربانية وتمتَح منها. فيما يتعلق بمسائل الرقي الأخرى؛ فلابد، في نظره، من إبداء مرونة تتماشى مع متطلبات الحياة في حالة تعذُّر الحصول على حلٍّ لها مباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية. أما عن صنع القرار السياسي

ISSN/2353-0197

والاجتماعي والاقتصادي؛ فإن القرآن الكريم يزخر بتوجيهات حكيمة مباشرة وغير مباشرة، يؤدي فيها الاجتهادة دورًا فاعلاً ومهمًّا حتى لا تتعارض هذه القرارات مع التعاليم الربانية فتكون سببًا في شقاء الأمة بكاملها، وقد عزَّز رأيه بقول الله عز وجل: ﴿والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى: 38)؛ حيث يفسِّر معنى كلمة "والذين استجابوا لربهم" أن هؤلاء يستجيبون للنداء الرباني بطاعة أوامره واجتناب نواهيه بما فيه تنفيذ الحكم الشرعي كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية. وعن معنى كلمة "وأمرهم شورى بينهم"؛ فمن المستحب تفعيل الشورى في اتخاذ القرارات من قبل الحكام من أجل الصالح العام.

بالنسبة إلى أصول القيادة، فإننا نلفي محمد ناصر على قدر من الوعي بطريقة التعامل مع أتباع ديانات مختلفة، علمًا أن الإسلام ينادي بالتعامل الحسن مع أتباع الأديان الأخرى من غير تفرقة أو عنصرية ما دام أن هؤلاء يحترمون المعتقدات الإسلامية ولا يشكِّلون خطرًا على المسلمين؛ حيث إن ذلك التعامل الإيجابي اقتضته الشريعة الإسلامية ونظَّمته، فقد جاء واضحًا وصريحًا في محكم التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِن دِيَارِكُم أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8). علاوة على أن الله سبحانه وتعالى لا يمنع من معاملة الذين لا يحاربون الدين ولا يخرجون المسلمين من ديارهم معاملةً حسنة بناءً على مبادئ الاحترام والعدل والمساواة فيما بينهم (Natsir 2001, 55).

يقول أيضًا إن الإسلام يجيز للمسلم التعامل التجاري مع أتباع الديانات الأخرى من غير حرج، بل أكثر من ذلك، قد أجازت الشريعة زواج المسلم باليهوديات والنصرانيات، في الوقت الذي نلفي فيه أن معابد اليهود وكنائس النصارى قائمة لا يحق للمسلمين المساس بها؛ فقد منحهم الله الحرية في ممارسة دينهم؛ إلا أنه فيما يتعلق بالقيادة يفترَض اتخاذ الحذر والحيطة وعدم إتاحتها لغير المسلمين، لأن القيادة هي من تقرِّر مصير الدولة ومستقبلها، ومن ثم لا بد من تسليمها لمسلم تتوافر فيه الشروط القرآنية، كما هو مذكور في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَّتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51). وعلى حد قوله إن تلك الآية فيها إنذارًا من الله سبحانه وتعالى بعدم تسليم القيادة لغير المسلمين خاصة اليهود والنصارى، وإن

ISSN/2353-0197

اللفظ "أولياء" تعني القيادة في نظره، بحيث يكون القادة قادةً على قومهم فقط، وإن أي مسلم يسلِّم القيادة لغير المسلمين فإنه يكون من ضمنهم كونه يواليهم، إضافة إلى ذلك قد يعدُّ من الظالمين بمجرَّد تسليم القيادة لهم.

يرى محمد ناصر أن الله سبحانه وتعالى أنذر الموالين لغير المسلمين فلا عذر لهم كونهم يتلاعبون بمستقبل الدين كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: 57). ويعتقد أن القيادة أمرٌ في غاية الحساسية، ولهذا يرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الأفعال الصحيحة والمستقيمة في أمور دنيوية معقَّدة، مستدلاً على ذلك بهذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: 55).

إن ما أدلى به محمد ناصر آنفًا، يجعل القيادة مشروطة بقائد يطيع الله ورسوله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويقوم بتنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور الدنيوية ابتغاءً لوجه الله سبحانه وتعالى(Natsir 2001, 57). وإذا استوفى القائد هذه الشروط لا يمكن أن يكون مواليًا لأهل الشرك والضلال والكفر والبدع، بل ينصره الله بإحقاق الحق وإقامة العدل كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56).

خاتمة

وقفنا في هذا البحث على سيرة محمد ناصر الدينية ومسيرته السياسية والاجتماعية، ورأينا كيف كان واعيًا كل الوعي بأهمية الجمع بين الدين والدولة من أجل تحقيق التنمية وتحصيل العدالة، وذلك في أجواء ديمقراطية لا تبخس الأعراق والجنسيات حقها المشروع في ممارسة ديانتها وشعائرها بشكل لا يؤذي مشاعر الأكثرية وهم من الغالبية المسلمة الإندونيسية، لاسيما أن المسلمين ملتزمون بنصوصهم الدينية التي تطالبهم بالعدالة مع المختلفين معهم وبسط التسامح وتعميم التعايش السلمي كما كان الأمر في العصر الإسلامي الأول الذي لم تكن فيه ديمقراطية بمفهوم هذا العصر، ومع ذلك كان أكثر تحضرًا مما نراه اليوم. إن احترام الإنسان المختلَف معه والتراحم إزاءه كما يرى محمد ناصر، يقيمان مجتمعًا متسامحًا وديمقراطيًا؛ حيث إن في ذلك يكمن جوهر الدين الإسلامي وسماحته إنْ حكم أو شارك في الحكم.

ISSN/2353-0197

هذا وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- هناك رباط تاريخي وحضاري بين الدين والدولة، وإنه من غير تمتين هذا الرباط يتعذَّر حصول التنمية وتعزيز العدالة في المجتمع المسلم.

2- يعد فهم محمد ناصر للدولة الإسلامية أكثر مرونة من غيره من العلماء المسلمين؛ فلم يكن مهتمًّا بشكل الدولة بقدر ما كان معنيًا بتحصيل مبادئ العدل والمساواة داخل الدولة الديمقراطية المنشودة لديه.

3- يرى محمد ناصر أن من يتولى حكم الأغلبية المسلمة، يُفترَض أن تكون له أهلية في الإدارة والقيادة والعبادة.

4- وقف محمد على الغموض الحاصل في فلسفة الدولة بنتشاسيلا، وعدَّ أن الربط بين أصولها الخمسة غير واضح.

5- ربطت أفكار محمد ناصر الإصلاحية فعل العبادة والقيادة وتربية الأسرة والمجتمع بالعمل الاجتماعي والسياسي الأكثر نضجًا ووعيًا.

المراجع:

Aliran Islam, 19 December, 1950: 13
Aliran Islam, 19 December, 1950:13.
Aliran Islam, 20 January, 1951:15
Aliran Islam, 20, January, 1951:16.
Aliran Islam, 20, January, 1951:17.
Aliran Islam, 20, January, 1951:17.
Aliran Islam, 20, January, 1951:17.
Aliran Islam, 20, January, 1951:17.
Aliran Islam, 37-38, June-July, 1952: 42.
Aliran Islam, No.19 December, 1950: 13.
Aliran Islam, No.19 December, 1950: 64.
Harjono, Anwar, 1997. *Perjalanan Politik Bangsa: Menoleh ke Belakang Menatap Masa Depan*. Jakarta: Gema Insani Press.
Ihza, Yusril, 1995. *Modernisme Islam dan Demokrasi. In: Anwar Harjono (et.al), M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya Untuk Indonesia.* Jakarta: Media Dakwah.

ISSN/2353-0197

Mohammad Natsir's interview with *Panji Masyarakat Magazine*, No.19, December, 1950.

Natsir, Mohammad, 2000. *Islam Sebagai Dasar Negara*. Jakarta:Dewan Dakwah Islamiyyah Indonesia, Jakart.

Natsir, Mohammad, 2001. *Agama dan Negara dalam Perspectif Islam*. Jakarta: Media Da'wah.

Noer, Deliar, 1973. *The Modernist Muslim Movement in Indonesia 1900-1942*. Singapore: Oxford University Press.

Puar ,Yusuf Abdullah, (ed.) 1978. *Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan*. Jakarta: Pustaka Antara.

صالحين، سوهرين محمد، يوسف، ناصر، 2013. "المشهد الليبرالي في إندونيسيا: السياسي والثقافي والاقتصادي،" **المسلم المعاصر** (القاهرة)، العدد 149، السنة 38 (يوليو–سبتمبر): 163–212.